طبيعة الكتابات التاريخية

حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر

للأستاذ ناصر الدين سعيدوني

دائرة التاريخ — معهد العلوم الاجتماعية
جامعة الجزائر

— مكانة الفترة العثمانية فى تاريخ الجزائر

— وجهة نظر الكتاب الفرنسيين فى تاريخ الجزائر العثمانية

— محاولة تقييم المساهمة الفرنسية المتعلقة بالفترة العثمانية

— وجهة نظر الكتاب الجزائريين فى تاريخ الجزائر العثمانية

— نحو مساهمة منهجية موضوعية

— مكانة الفترة العثمانية فى تاريخ الجزائر :

تعتبر الفترة العثمانية من تاريخ الجـــزائر الحديث ، فترة مهمة وحاسمة وأساسية ، وذلك لعدة اعتبارات، فبغض النظر عن المدة الزمنية التى استغرقتها والتى تزيد عن ثلاثة قرون (١٥١٦ — ١٨٣٠) ، فانها كانت تتميز بالاعتبارات التالية :

١ — أنها فترة تعرضت فى مطلعها البلاد الجزائرية للغزو الأسبانى الذى تركز فى المدن الساحلية وكاد أن يعيد بها كارثة الأندلس ومأساة إنهيار الوجود

الاسلامى فى تلك الديار مرة أخرى ، كما شهدت الجزائر فى نهايتها الغزو الاستعمارى الفرنسى وما انجر عنه من ظلم وتعسف واجحاف دام أكثر من قرن وربع قرن (١٨٣٠ — ١٩٦٢) .

٢ — فترة عاشت أثناءها الجزائر مرحلة حاسمة ، تمثلت فى الخصوص فى مواجهة اعتداءات الدول الأوربية ، وعلى رأسها أسبانيا وفرنسا وانكلترا ، التى تكالبت أساطيلها وجيوشها على استغلال خيرات الجزائر والتحكم فى مقدراتها اصالح أوربا وما تحمله من روح صليبية .

٣ — لكون هذه الفترة تعتبر بمثابة المعبر الزمنى الذى حافظ على قيم الجزائر الحضارية وتراثها ومقوماتها الاسلامية العربية ، التى تعمقت جذورها ورسخت دعائمها أثناء الوجود العثمانى بعد أن تبلورت واتضحت معالمها فى الفترة الاسلامية السابقة .

٤ — انها فترة اكتمل فيها كيان الشعب الجزائرى ، وعرفت البلاد الجزائرية مقومات الدولة الخاصة ، بعد أن ظلت هوية الجزائر الإقليمية غير واضحة المعالم أثناء انقسام دولة الموحدين (١٢٦١) وظهور الحفصيين والزيانيين والمرينيين ، وقد برز هذا الكيان بالخصوص فى اختيار عاصمة قارة ورسم حدود معينة ، ووضع أجهزة إدارية ، وسن أنظمة اقتصادية وإقرار أوضاع اجتماعية وانتهاج علاقات سياسية خارجية تتلاءم وأوضاع البلاد الجزائرية آنذاك هذا مع التأكيد على الروابط لوثيقة مع البلاد العربية ، والبقاء ضمن الوحدة الحضارية والفكرية للامبراطورية العثمانية الشاسعة .

ولكن رغم هذه الاعتبارات التى أسبغت على الوجود العثمانى بالجزائر أهمية خاصة ، فإننا نجد الفترة العثمانية لم تنل الدراسة اللائقة بها والاهتمام الجدير بها ومرد ذلك حسب ما نرى ، أن الكتاب الفرنسيين لم يكونوا يرون

أى شيء جدير بالتنويه والإشادة فى تاريخ الجزائر سوى العهد الرومانى وفترة الاحتلال الفرنسى ، كما أن الكتاب الجزائريين ظلوا هم الآخرون يعتبرون الفترة العثمانية خاتمة لأبحاثهم المتعلقة بالعصور الوسطى أو تمهيدا لدراساتهم المتصلة بفترة الاحتلال، بينما أغلب من ارخوا للحركة الوطنية أرجعوا أصول هذه الحركة إلى مقاومة الامير عبد القادر أو رأوا انها تنبع من رفض الشعب الجزائرى للاحتلال الفرنسى لا أكثر ولا أقل ، وبذلك انتهى أغلبهم إلى القول بأن تكوين الأمة الجزائرية يرتبط باندلاع المقاومة ضد الفرنسيين متجاهلين عن قصد أو غير قصد فترة ما قبل الاحتلال ، التى عرفت أثناءها الجزائر كما سبقت الاشارة إلى ذلك مقومات الأمة وكيان الدولة الأمر الذى يجعل الجزائريين يرفضون فكرة الاستعمار وأسلوب الاحتلال بكل الوسائل .

ويفعل بهذه النظرة التى لا تعطى للفترة العثمانية مكانها اللائق بها ضمن تاريخ الجزائر ظل تاريخ الجزائر العثمانية أشبه شيء بفترة ما قبل التاريخ حسب تعبير جال بيرك[1]، إن لم نقل بأنها تشكل الحلقة المفقودة فى تاريخ الجزائر.

وانطلاقا من هذه النظرة راح بعض الكتاب يقومونها حسب ما استخلصوه من دراسات الأوربيين العامة وآرائهم حول هذه الفترة ، دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة البحث والرجوع إلى المصادر الأساسية والوثائق الأصلية ،ففى هذا السياق نجد السيد محى الدين جندر يؤكد بأن حكومة أتراك الوجاق والرياس — حسب تعبيره — أنشئت وتدعمت وحافظت على بقائها إلا نتيجة تطور محلى ساهم به السكان وإنما بفضل تحكم الاقطاع وتفكك المجتمع وتلاشى السلطة وركود الاقتصاد وانهيار المدن وتقهقر الزراعة »[2] ولا نختلف عنه فى هذا الشأن الكاتب بن اشنهو الذى يرى، بأن الإدارة التركية عبارة عن أداة تعمل لملء أكياس الخزينة وجيوب الأقلية التركية الحاكمة

المسيطرة ، مما يجعل ثروات البلاد فى مثل هذا الوضع أشبه شيء بقطعة حلوى كل موظف يأخذ منها حسب ما يخول له منصبه[٣] ، ونفس الحكم يشاطره فيه السيد ملود قايد الذى يستنتج بأن الأتراك أجانب وقد ظلوا أجانب طيلة القرون الثلاثة وذلك لعدم تمكنهم من الإتصال بالسكان المحليين رغم انه فى دراسته لم يصل إلى أى شيء يؤكد له عدم الصلة وانقطاع التعامل الذى ينشده[٤]) .

فبغض النظر عن هذه الآراء والاعتبارات ، فان النظرة الموضوعية للفترة العثمانية من تاريخ الجزائر تفرض علينا ان نقر بأن فهم تاريخ الجزائر الحديث فهما صحيحاً متماشيامع الواقع والحقيقة لا يتأتى إلا بدراسة هذه الفترة دراسة تعتمد على المصادر الأساسية وتستند إلى الوثائق الأصلية التى تشكل المادة الخام والعمود الفقرى لأى بناء تاريخى .

وانطلاقاً من هذه النظرة نحاول التعرف على نوع وطبيعة الدراسات التى تمت فى هذا المجال وذلك بتلمس خصائص الإنتاج التاريخى المتعلق بالفترة العثمانية من تاريخ الجزائر ، هذا الإنتاج الذى يمكن أن ندرجه فى ثلاثة أصناف مختلفة :

— صنف كتبه الفرنسيون أثناء فترة الإحتلال ولا زالوا يواصلون الكتابة فيه ، وهو أكثر تخصصاً وأغزر إنتاجا ، ويمكن أن نطلق عليه وجهة نظر الكتاب الفرنسيين ، وصنف ثان كتبه جزائريون وهو أقل إنتاجاً وأكثر شمولا ، ويمكن أن نعرفه تجاوزاً بأنه وجهة نظر الكتاب الجزائريين التقليدية وهناك صنف ثالث بدأ يساهم به خريجوا الجامعات من جزائريين وغيرهم وهو يتصف باحترام المنهج التاريخى وبالتقليد بطرق البحث الحديثة ، وعدم اتخاذ موقف محدد قبل التوصل إلى نتائج معينة وهذا الصنف الأخير رغم انه لايزال نادر الإنتاج ، ولم يغط أغلب المواضيع لحداثته وقلة المنتسبين إليه ، فانه يمثل

فى نظرنا مساهمة جديدة لإعادة تقييم تاريخ الجزائر العثمانية ، ضمن إطار مدرسة موضوعية ومنهجية .

وجهة نظر الكتاب الفرنسيين فى تاريخ الجزائر العثمانية :

أما وجهة نظر الكتاب الفرنسيين التى يطلق عليها البعض من قبل التعميم :

« المساهمة الفرنسية أو المدرسة الفرنسية فى تاريخ الجزائر ، فهى وإن كانت تتعلق بكل فترات تاريخ الجزائر من أقدم العصور وحتى الثورة التحريرية الكبرى ، إلا أن ما يهمنا منها هنا لا يتعدى العهد العثمانى من تاريخ الجزائر الذى تناولته وجهة النظر هذه انطلاقاً من خصائص ومميزات نوجز أهمها فيما يلى من النقاط :

١ ـ ان المادة التاريخية التى استعملها الفرنسيون لم تكن تتجاوز فى أغلب الأحيان المصادر الغربية والأرشيفات الأوروبية ، التى يتألف أغلبها من مذكرات الرحالة ومراسلات القناصل وحكايات المسافرين وتقارير البحارة وانطباعات الرهبان والجواسيس ، وبذلك ظلت المصادر الأساسية المتمثلة فى وثائق الأرشيفات ومخطوطات المكتبات المحلية الموجودة بالجزائر وتركيا مهملا ، مع كونها تتضمن المادة الخام فى مثل هذه الدراسات . والغريب فى الأمر أن الكتاب الفرنسيين لم يفكروا فى الرجوع إليها واستغلالها فى الكتابة التاريخية ، بل لم يكلفوا أنفسهم حتى البحث عن أماكن وجودها بالجزائر واستانبول(٥) .

وهذا الاعتماد على المصادر الأوربية دون سواها ، راجع حسب ما نرى إلى أن الذين كان فى مقدورهم جمع هذه المصادر المحلية وهم الحكام العسكريون والإداريون انصب اهتمامهم على محاولة التعرف على واقع الجزائر آنذاك من

خلال المشاهدة والملاحظة لا بواسطة الوثائق والكتب ، أما الكتاب الآخرون منهم من ذوى الاختصاصات فى الدراسات التاريخية والذين كان فى استطاعتهم استغلال الوثائق التركية والعربية فانهم لم يكلفوا أنفسهم مشقة الترجمة وتعلم لغة تلك الوثائق ، ولم يروا فائدة فى الرجوع إلى تلك المصادر بعد أن وجدوا ضالتهم فى الأرشيفات والكتب الأوربية السهلة المنال وقد نتج عن هذا أن أصبح كثير من هؤلاء الكتاب يشكون فى صحة تلك الوثائق العربية التركية ، ويصفونها بالتجريد والمبالغة ، وهذا ما أشار إليه غرامون فى كتابه تاريخ الجزائر تحت الحكم التركى(٦) .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل راح بعض الكتاب المختصين يؤكدون بأن الجزائر التركية يجب أن تدرس من خلال الروايات والملاحظات الأوربية وبواسطة وثائق الأرشيفات التى هى فى الواقع الأرشيفات الأوربية المتوفرة، لاعن طريق المصادر المحلية(٧) . بحجة أن هذه المصادر الأخيرة لم تهتم بالسادة الأتراك ولا بعلاقاتهم مع الأوربيين أو السلطان(٨) حسب تعبيراتهم .

وهكذا نرى أن إهمال المصادر العربية — التركية والاعتماد الكلى على الوثائق الأوربية المتصلة بالفترة العثمانية بالجزائر ، كان بمثابة رفض التعرف على الحقيقة التاريخية ، ومعاداة الرؤية السليمة للتاريخ ، وتجاهل صريح لواقع الطرف الآخر الذى يكتبون عنه بغية التعرف عليه .

٢ — ان جل ما كتب حول الفترة العثمانية يعتبر بالنسبة لاهتمامات التاريخ الجزائرى من قبيل القضايا الجانبية والموضوعات الهامشية : بحيث ظل الاهتمام والتركيز منصبا على مدينـــة الجزائر وما يهم الأوربيون من نشاطها مثل الاحتكارات التجارية ومشاكل القرصنة المعلقة بفداء الأسرى ودفع الأتاوات والهدايا من طرف الدول الأوربية ، وما انجر عن هذا النشاط من أعمال

عدائية وغارات وهجومات إنتقامية شنها الأوربيون على السواحل الجزائرية ، وإذا تجاوزت هذه الكتابات الفرنسية مدينة الجزائر وقلما تفعل ذلك — فلا تبرز أوضاع البلاد إلا من خلال الحملات الإنتقامية للحكام الأتراك ، والإعتداءات المتكررة لرجال الباياليك ، والفوضى والإضطرابات التى كانت تعيشها المجموعات العشائرية ، وحتى يكاد المتتبع لمثل هذه الدراسات يسلم بأن مثل هذه الحالة لايمكن أن يوضع لها حد إلا بالتدخل الأوربى المتمثل فى الغزو الفرنسى .

أما حكومة الايالة الجزائرية وجهازها الحكومى ووضعية أسطولها وتنظيمات جيشها ، وعلاقاتها الخارجية ولا سيما مع بقية أقاليم الامبراطورية العثمانية وافريقيا وما كانت تمتاز به أوضاعها الاجتماعية وأنظمتها الاقتصادية وأحوالها الثقافية ، فقد ظلت فى مثل هذه الدراسات مهملة ان لم تكن مشوهة[٩] . ولعل هذا راجع إلى طبيعة مصادر هذه الدراسات التى لم تكن تعكس بصدق وضعية البلاد وحالة السكان . فهى فى أغلبها مصادر أوربية — كما سبقت الإشارة إلى ذلك — كتبها أجانب لم يكونوا يعيشون الأحداث أو يتفاعلون معها ، بل كانوا يتفرجون عليها ويسجلون منها ما كان يتماشى مع طباعهم الأوربية ونظرتهم الخاصة إلى الحياة ، هذه النظرة التى تتجلى لنا بكل وضوح فى بعض عناوين هذه المصادر مثل : كتاب مشاهير الأسرى أو تاريخ بلاد البربر وقراصلتها للأب دان[١٠] ، أو تاريخ استعباد الأتراك دومون بافريقيا[١١] .

٣ — ان أغلب الدراسات التاريخية بالجزائر العثمانية ، والتى تمت على يد كتاب فرنسيين تعتبر دراسات مغرضة ، فهى تهدف إلى خدمة الاستعمار وتبرير الوجود الفرنسى بالجزائر ، وذلك بتغيير صورة الماضى وتشويه الواقع التاريخى حتى يصبح متماشيا ومصالح الاستعمار ، بحيث تخضع منهجية التاريخ ومتطلبات

البحث إلى واقع الاحتلال ومرامى السياسة الاستعمارية ، مما يحط بمثل هذه الدراسات فى بعض الأحيان إلى مستوى الدعاية المغرضة .

فالوجود العثمانى بالجزائر فى نظر المساهمة الفرنسية كان بمثابة العامل الذى حال دون اكتساب الجزائر مقومات الدولة القومية وعاق تطور النظم الاجتماعية والاقتصادية ، وذلك ليخلصوا إلى مقارنته بالحضور الفرنسى فالحكم التركى فى هذه المقارنة غير العادلة كان يقوم على الاستبداد ويتصف بالظلم والعدوان ، بينما الحضور الفرنسى كان حسب استنتاجاتهم أقرب الى العمل الحضارى منه إلى التدخل الاستعمارى .

وقد أدت هذه النظرة المغرضة بالكتاب الفرنسيين إلى تجاهل الوجود التاريخى للشعب الجزائرى واعتبار الجزائر منطقة فراغ حضارى يفتقر إلى وجود شعب متماسك وأمة متكاملة ، فهذه النظرة لم تكن الجزائر تعدو عن كونها منطقة جغرافية يتعاقب عليها الحكام وتنتقل عبرها القبائل المتنازعة والعشائر المتنافرة والجماعات المتطاحنة التى لا تخضع إلا إلى القوة ولا تسكن إلا تحت الارهاب والقسر الذى طالما سلطه عليها الحكام الأتراك حسب زعمهم . فالجزائر بهذا المفهوم كان ينظر إليها على إنها جزء من الغرب اغتصب وافتك من طرف الشرق ، فى مناسبتين الأولى عند الفتح الاسلامى (القرن ٧م) والثانية مع ظهور الأتراك وتأسيس اياله الجزائر (القرن ١٦م)[١٢] .

كما لم تكن الجـــزائر بهذا المفهوم تتجاوز لفظ اخترعه الفرنسيون (E'Algèrnè) سنة ١٨٣٨ ليطلقوه على جزء اقتطع اعتباطا من أفريقيا الشمالية حسب تعبير قزال[١٣] .

ولقد بلغت هذه الأحكام المنحيزة أوجها مع الذكرى المائوية للإحتلال (١٩٣٠) ، عندما انعقد فى الجزائر المؤتمر الوطنى الفرنسى الثانى للعلوم التاريخية

تحت شعار تبرير الاستعمار والتأريخ له والعمل على انجاحه واستمراره بكل الوسائل، وبذلك ضحى المؤرخ الفرنسي في الجزائر بقيم البحث وأخلاقياته في سبيل مصلحة استعمارية وقضية سياسية غير عادلة[١٠٤] .

وهكذا نلاحظ أن الكتاب الفرنسيين من خلال دراساتهم المغرضة حاولوا التعرض إلى كل الموضوعات تقريبا سوى المجتمع الجزائري ، الذي لم يسلموا بوجوده[١٠٥] ، وأن هم استعملوا مثل هذه العبارة في بعض الأحيان فانهم كانوا يقصدون بها طائفة المستعمرين الدخلاء الذين كانوا يرون فيهم البديل الشرعي للشعب الجزائري .

أما مرد هذه الدراسات المغرضة التي عبر بها الكتاب الفرنسيون عن وجهة نظرهم ازاء الجزائر العثمانية ، فهي صادرة عن عقدة الذنب ومركب التفوق الذي أصاب الاستعمار الفرنسي في الجزائر بعد أن واجهه مقاومة الشعب الجزائري المتمسك بقيمه الحضارية والدينية، مما جعل الاستعمار ينطلق في معاملته للشعب الجزائري من مفهوم السيطرة ومبدأ القوة والاكراه ، هذه القوة التي دفعت الحكام الفرنسيين إلى إنكار وجوده ومحاولة تذويبه بكل الطرق، وهي نفس القوة التي أملت على كثير من الكتاب الفرنسيين تشويه ماضيه والحط من عاداته وتقاليده وثقافته .

٤ — أن وجهة نظر الكتابات الفرنسية حول الفترة العثمانية ، رغم الهدف الواحد الذي ترمي إليه والمتمثل بالخصوص في خدمة الاستعمار، تتصف بتعدد المشارب وتنوع الاهتمامات واختلاف المستويات الثقافية، وقد نتج هذا التنوع لكون الكتاب الفرنسيين كانوا يختلفون من حيث نوعية الثقافة والتكوين ، فمنهم من كان ينتسب إلى سلك القادة العسكريين والحكام المدنيين ، ومنهم من كان يعتبر من أساتذة الجامعات أو من الباحثين والعلماء المختصين .

وقد كان للقادة العسكريين والحكام المدنيين قصب السبق طيلة السنوات

الخمسين الأولى للاحتلال ، أى من ١٨٣٠ إلى ١٨٨٠ ، ففى أثناء هذه المدة واظب هؤلاء القادة والحكام على نشر كثير من المذكرات الشخصية والتقارير الرسمية والروايات التاريخية ، اعتمادا على وثائق مكتوبة أو روايات شفوية تمكنوا من حيازتها بفضل الحملات العسكرية التى كانوا يقومون بها أو بواسطة المكاتب العربية التى كانوا يشرفون عليها ، وهى فى أغلبها عبارة عن وثائق العائلات الخاصة .

لكن انعدام التخصص واعتماد هؤلاء الحكام والقادة على دافع الهواية الشخصية فى تسجيل الأحداث ووصف الانطباعات والتعليق عليها ، جعل مثل هذا الانتاج أقرب إلى الثقافة العامة منه إلى الكتابة التاريخية بالمعنى الصحيح للكلمة وهذا ما يلاحظه على كتابات كل من : آرنو[١٦] A'Arnaud وإسترهازى[١٧] W.Esterhazy وربان[١٨] N.Robin. وفلاندان[١٩] M.J, Flandin وفيرو[٢٠] L.Ch.Fèraud وديلسى[٢١] Dennieè ورين[٢٢] L.Rinn. ودوما[٢٣] Daumas, وترومليه[٢٤] Trumelet .

أما اساتذة الجامعات وذوى الاختصاصات فى مجال الدراسات التاريخية فانهم واصلوا الكتابة حول تاريخ الجزائر طيلة السنوات الممتدة من ١٨٣٠ إلى ١٩٥٤ مثل: رونى باسى R.Basset مرسى E.Mercier واسكار G.Esquer وماسون P.Masson واندى جوليان Ch.A.Julien وايفر G.yver وامرى M.Emerint ، وذلك بفضل البيئة الملائمة والظروف المساعدة المتمثلة فى توفر إنتاج الفئة السابقة من الحكام والقادة وإنشاء المدارس العليا عملا بقانون ١٨٨٠ ، وافتتاح الجامعة الجزائرية سنة ١٩٠٩ وما أعقبها من أحداث معهد للدراسات الشرقية بالجزائر ١٩٣٣ وتكوين معهد للأبحاث الصحراوية عام ١٩٤٠ .

وقد ساهم هؤلاء العلماء والمختصين عن طريق التدريس وتأسيس الجمعيات

التاريخية والأثرية ، والمشاركة فى المناسبات الثقافية التى وجدت دافعا قويا لها باحياء الذكرى المائوية للاحتلال ١٩٣٠ ، فى اثراء المساهمة الفرنسية وتنويع إنتاجها واختصاصاتها .

على أن الشيء الملاحظ هو أن اختلاف الاختصاصات وتنوع اهتمامات الكتاب الفرنسيين جعل جهودهم غير منسقة وغير مترابطة ، مما أبقى فجوات وثغرات شبه مجهولة أو مهملة ، رغم المدة الطويلة التى استغرقتها والمجلات التى تطرقت لها جهود هؤلاء الكتاب الفرنسيين، وهذا ما لفت انتباه الاستاذ لوتونو عندما تعرض إلى تقييم المجهود الفرنسى فى الكتابة التاريخية بمناسبة الاحتفال بالذكرى المائة لتأسيس المجلة الأفريقية إذ أشار إلى ذلك بقوله : « أن ما بقى من المجالات التى لم تعالج بشكل أو بآخر من تاريخ الجزائر يماثل ما تم انجازه فى جميع الميادين ، وهذا يرجع إلى كون المساهمين فى هذا العمل القيم لم يعمدوا إلى تنسيق عملهم بالقدر الكافى ، أكثر من يعود إلى كون هؤلاء الباحثين قليلى العدد »[٢٥] .

محاولة تقييم المساهمة الفرنسية المتعلقة بالفترة العثمانية :

وحتى نخرج بتقييم أكثر شمولا وأقرب موضوعية لوجهة النظر الفرنسية فإننا نستعرض جانبى المساهمة الفرنسية فى تاريخ الجزائر العثمانية ، الايجابى منه والسلبى .

فالجانب الإيجابى يتمثل بالخصوص فى هذه النقاط :

جمع المادة التاريخية ، وإن كان أكثرها من مصادر غربية وأرشيفات أوربية والقليل منها عبارة عن وثائق محلية تم الاستحواذ عليها فى الغالب بطرق غير شرعية ، مثل الوسائل التى استعملها بيربروقجى Berbrugger فى حيازة حوالى ٨٠٠ مخطوط أثناء مصاحبته للفيلق الثانى الذى دخل مدينة قسنطينة

غازيا[٢٦] ، أو التى تستر وراءها البارون دوسلان Le Baron de Slane أثناء زيارته لكثير من المكتبات الخاصة بقسنطينة واطلاعه على كثير من ودائعها ، فيفعل نفوذ السلطات الفرنسية الحاكمة بقسنطينة تمكن دوسلان[٢٧] من الانتفاع من مكتبة كل من : السيد حمودة من عائلة بن الفقون التى كانت تضم على ما يزيد عن ٢٥٠٠ مجلة ، ومكتبة باش تارزى التى كانت هى الأخرى تحتوى على ٥٠٠ مجلد[٢٨] ، أما رونى باسى Basset فقد آزرته السلطات الاستعمارية وعلى رأسها الوالى العام تيرمان Tirman الذى وجه رسالة فى هذا الشأن إلى سى محمد الصغير رئيس الطريقة التيجانية بتاريخ ٢٦ فيفرى ١٨٨٥م، يحثه فيها على تقديم تسهيلات للسيد باسى فى مهمته، وبذلك تمكن هذا الأخير من اقتناء كثير من المخطوطات ووضع فهارس للمكتبات العربية الموجودة بزوايا عين ماضى وتماسين وورقلة[٢٩] والهامل[٣٠] أو التى كانت فى حوزة باشا آغا جلفة آنذاك[٣١] ، ومن الجدير بالذكر أن أغلب مخطوطات هذه المكتبات تعود للفترة العثمانية من تاريخ الجزائر[٣٢] .

٢ ـ استخدام تقنيات البحث الحديث : من حيث تصنيف المادة حسب الاختصاصات والتقيد بالفهارس والتبويب ، مع نقد بعض المصادر والوقوف منها موقف الحذر والتساؤل لاسيما إن كانت ذات مصدر عربى ، على أن استخدام منهجية البحث أضربها فى كثير من الأحيان التقيد بمواصفات الحضارة الغربية ومتطلبات التاريخ الأوربى الذى لا يرى فى الوجود العثمانى إلا مجرد مرحلة سابقة للاحتلال وممهدة لمشروعاته الاستعمارية[٣٣] .

كما حد من إمكانية استخدام تقنيات البحث موقف الشك والاهمال الذى وقفه الكتاب الفرنسيون إزاء الكثير من المصادر ذات الأصل التركى أو العربى. كما سبقت الاشارة إلى ذلك .

٣ ـ تنشيط الدراسات التاريخية وتشجيع الانتاج التاريخى : الذى يتصل الكثير منه بالعهد العثمانى ، فى نطاق هذا النشاط الثقافى نشير إلى أن اللجنة الافريقية أثناء زيارتها للجزائر ١٨٣٣، تركت لنا محاضر جلسات لايمكن للباحث أن يستغنى عنها[٣٤] وهى تماثل فى عملها ما قامت به لجنة اكتشاف الجزائر العلمى[٣٥] ، تحت اشراف وزارة الحربية الفرنسية ، وقد أدى نشاطها إلى وضع لوحة أو جدول احصائى حول أوضاع الجزائر[٣٦] يشتمل على ١٧ مجلدا ، يتضمن جانب منه بقايا الوجود العثمانى بالبلاد عشية الاحتلال ، وتدعم هذا العمل بانشاء مكتبة الجزائر سنة ١٨٣٥ ، التى فتحت أبوابها لأول مرة لجمهور القراء بعد ثلاث سنوات فقط (١٨٣٨) بمقرها القديم الكائن بدار الحاج عمر صهر الداى حسين باشا ، وألحق بها متحف أثرى غنى فيما بعد .

ويدخل فى نطاق تنشيط الدراسات التاريخية انتقاء بعض الصحف كالمرشد الجزائرى (٢٦ فيفرى ١٨٣٠) والاخبار (١٨٣٩) والمبشر (١٨٤٧) وتكوين جمعيات قصـــد العمل على نشر الانتاج التاريخى ، مثل الجمعية التاريخية الجزائرية : Société d'Histovie Algeéuénue سنة ١٨٥٦ ، بوحى من القائد العام للجزائر : الجنرال راندون Randon ومنذ ذلك الحين دأبت هذه الجمعية على إصدار المجلة الافريقية (١٨٥٦) التى أصبحت مع مرور الوقت تزخر بالعديد من المقالات والدراسات والوثائق حول العهد العثمانى ، كما شاركت هذه الجمعية فى عقد كثير من اللقاءات والمؤتمرات والمجامع التاريخية .

ولم يقتصر النشاط التاريخى على مدينة الجزائر وحدها ، بل شاركتها فى ذلك مدينة قسنطينة التى تأسست بها جمعية للآثار بمبادرة شاربونو Cherboneau ومعاضدة كل من فيرو Féraud والكسى بيلامان A.Bilamane عام ١٨٥٢ ، وتمكنت من إصدار تقويم خاص Annucire منذ عهد مبكر ، حولته فيما بعد إلى مجموعة مقتطفات Recueih ، ونفس النشاط عرفته وهران ، حيث ظهرت بها

جمعية للآثار عام ١٨٧٨، وأصبح لها نشرة خاصة بالدراسات التاريخية تعرف بـ : Bulletin de gèographie et d'Hrchive d'Oron

أما الجانب السلبي للمساهمة الفرنسية في كتابة تاريخ الجزائر العثماني ،فقد نتج عن تلك الصفات التي تميزت بها وجهة النظر الفرنسية ، والتي جعلتنا نستخلص بأن هذه المساهمة الفرنسية كانت : ناقصة وضئيلة وسطحية في آن واحـــد .

فهي مساهمة ناقصة ، لكونها تفتقر إلى الجهد التاريخي المتمثل في البحث عن المصادر وجمع المادة التاريخية من مختلف مضانها وأماكن تواجدها ، والعمل على الوصول إلى الحقيقة التاريخية وتحري الواقع المجرد عن الميول والعواطف ، وهذا ما لم تتقيد به المساهمة الفرنسية التي اتصفت باهمال وتجاهل المصادر العربية التركية كما سبقت الاشارة إلى ذلك ، وحتى الوثائق الأوربية التي حاول الكتاب الفرنسيون التركيز عليها في دراساتهم واستنتاجاتهم فان الكثير منها لم ينشر ، وهذا ما دفع الجمعية التاريخية الجزائرية المشرفة على إصدار المجلة الافريقية إلى توجيه نداء إلى مراسليها وقرائها تحثهم فيه على تدارك النقص في هذا المجال بالبحث عن هذه الوثائق ونشرها في المجلة الافريقية مؤكدة لهم بأن هناك نقص « لا يزال يحتاج إلى مزيد من الجهود[٣٧] في ميدان الوثائق التاريخية[٣٨] .

وقد لفت نقص المساهمة الفرنسية انتباه بعض الكتاب ، مثل السيد كات Cat الذي علق على وضعية المصادر قائلا : لقد أصبح التاريخ اليوم يراعى فيه الرغبة في البحث مع مراعاة الحقيقة والبحث عنها، وعدم إهمال ذكر المصادر المعتمد[٣٩] وقد عقب الأستاذ : مونتران كذلك على نقص المساهمة الفرنسية بقوله :لا يمكن كتابة تاريخ حقيقي للجزائر في القرون التي عاشتها تحت الحكم التركي إلا بالرجوع إلى الوثائق الأصلية التي ظلت مهملة » .

وهكذا نجد بأن النقص الذى كانت تشكو منه المساهمة الفرنسية جعل بعض الكتاب يصف الفترة العثمانية بأنها أكثر غموضا من العهد الرومانى ، الأمر الذى سمح لبعض الكتاب بأن يصفوا هذه المساهمة بأنها انطلقت من البداية دون أن تصل إلى النهاية[٤٠] .

ويؤخذ على المساهمة الفرنسية كذلك كونها تتصف بالتواضع وضآلة الانتاج ، فرغم الجهد الذى بذله الكتاب الفرنسيون أكثر من مائة سنة ، فإن البحث من تاريخ الجزائر المسلمة ولاسيما العهد العثمانى لايزال بعيدا عن الانتهاء بشهادة أحـــد الكتاب الفرنسيين[٤١] . بل أن المعلومات المتعلقة بالوجود العثمانى لم تعرف تطورا ملحوظا ، مما حدى بأحد الكتاب الفرنسيين المهتمين بهذا الموضوع وهو محافظ أرشيف الولاية العامة سابقا والمشرف حالياً على أرشيف ماوراء البحـــار باكيس آن بروفانس بفرنسا السيد بوايي Pierre Boyer — إلى القول بأن معلومات الفرنسيين عن الجزائر قبل الاحتلال لم تعرف تقدما منذ السنة التى نشر فيها قرامون كتابه عن تاريخ الحكم التركى بالجزائر سنة ١٨٨٧[٤٢] . كما علق على تواضع المعلومات وضآلة الإنتاج الأستاذ ديني أستاذ التاريخ بالمدرسة العليا للآداب بالجزائر سابقا ، أثناء اجتماع الجمعية التاريخية الحديثة : بقوله أن المكتبة الجزائرية فقيرة بصفة تلفت الانتباه وتسترعى النظر من الكتب التاريخية ذات القيمة العلمية ، رغم الأهمية التى يكتسبها تاريخ الجزائر فى النواحى السياسية والعسكرية والاقتصادية والتشريعية والإدارية بالنسبة للادارة الفرنسية الحاكمة ، وقد أرجع ضآلة الإنتاج وتواضعه إلى حالة المصادر التى هى غير موجودة حسب قوله وأن وجدت فهى تشكو الإهمال وقلة العناية[٤٣] .

وهناك مأخذ آخر يلاحظ على المساهمة الفرنسية ، وهو أن الدراسة التاريخية حول الجزائر العثمانية ظلت فى أغلبها عملا يتصف بقلة العمق وسرعة الاحكام

وسطحية التفسير وهي من هذا الجانب نجدها تتناول كثيرا من الموضوعات ولكن بصفة عامة ، بحيث ظلت هذه الموضوعات وحتى المتأخر منها تفتقر إلى العمق المطلوب فى الدراسة التاريخية الجادة[٤٤]. ومن الملاحظ أن هذا الوضع الذى كانت تعانى منه كتابات الفرنسيين حول الجزائر كان يدفع بعض الكتاب إلى تسليط النقد الجارح على بعض الأعمال التى هى من هذا القبيل . مثل تأليف الأستاذ كامى روسى Camille Rosset الذى علق عليه الكاتب كات Cat بهذه العبارة : لقد شعرنا بخيبة أمل من نوعية الدراسة التى قدمها السيد كاميل روسى المنتسب إلى الاكادمية الفرنسية ، إذ بعد مرة طويلة قضاها فى تحضير تاريخ احتلال الجزائر فإنه لم يقدم سوى إنشاء تاريخى مقتبس فى أغلبه من كتب بليسى . ورايو ونتيتمان . مع كون مهمته كمحافظ لأرشيف وزارة الحرب تسمح له بالاطلاع فى هذا النوع من الدراسات[٤٥] .

وفى آخر هذا التقييم يجدر بنا أن نسجل بأن كل ماتوصلنا إليه من خلال دراستنا هذه لا يعتبر بوجه من الوجوه حكما مطلقا وقاعدة بدون استثناء ، بل هو يمثل فى نظرنا الصفات الغالبة على وجهة النظر الفرنسية ويقدم لنا الخطوط العامة المميزة للمساهمة الفرنسية فى كتابة تاريخ الجزائر العثمانية .

وجهة نظر الكتاب الجزائريين فى تاريخ الجزائر العثمانية :

كانت بمثابة انعكاس صادق لليقظة الجزائرية الحديثة وما تحمله من شعور وطنى فياض ، فهى من هذه الناحية تعتبر إحدى مقومات الحركة الوطنية الجزائرية[٤٦] . أما من حيث التطور الزمنى الذى عرفته وجهة النظر الجزائرية فانه تم أثناء مرحلتين متمايزتين المرحلة الأولى التى نحددها بالسنوات العشرة الأولى من القرن العشرين (١٩٠٠ — ١٩١٠) فقد اتسمت بنشر التراث الذى هو فى واقع الأمر مادة خام ومصدر أساسى لتاريخ الجزائر ، وكان من أهم الكتب التى تم نشرها فى هذا الشأن رحلة بن عمار[٤٧] . (١٩٠٢) وكتاب

البستان لابن مريم(٤٨) (١٩٠٧) وكتاب تعريف الخلف برجال السلف(٤٩) وهو وان كان فى شكل تأليف إلا أنه فى مجمله عبارة عن مقتطفات واقتباسات من كتب قديمة (١٩٠٧) ، ومن ذلك أيضاً رحلة الورتلانى(٥٠) (١٩٠٨) ورحلة الغبرينى(٥١) (١٩١٠) . أما المرحلة الثانية للمساهمة الجزائرية فهى تستغرق مدة طويلة نسبيا (١٩٢٩ — ١٩٦٢) وتتطرق للكتابة عن ماضى الجزائر، ففى هذا المجال نجد الشيخ المبارك بن محمد الإبراهيمى الميلى (١٨٨٠-١٩٤٥) يعمل على إخراج كتابة فى تاريخ الجزائر القديم والحديث(٥٢) ، مدفوعا بحماس الحركة الاصلاحية التى كان يشرف عليها بالأغواط (٢٨ — ١٩٢٣) . فنشر الجزء الأول من تاريخه سنة (١٩٢٩) وهو خاص بفترة ماقبل الاسلام ، ثم اتبعه بالجزء الثانى عام١٩٣٢ الذى أفرده للفترة الاسلامية، ولم يتمكن من إتمام الجزء الثالث الذى عمل على إتمامه ابنه الأستاذ محمد إبراهيمى الميلى ونشر عام ١٩٦٤(٥٣) .

أما الأستاذ توفيق المدنى (١٨٩٩) فانه أصدر بدوره كتاب الجزائر(٥٤) الذى خصص فيه للفترة العثمانية فصلا مركزاً(٥٥) ، ثم أعقبه بكتاب محمد عثمان باشا وخلاصة مفصلة عن العهد التركى بالجزائر ومقتضيات من دفتر التشريفات ومذكرات نقيب الأشراف مع نبذة من فانتور دو بارادى .وذلك عام ١٩٣٨(٥٦) . وأكمل ذلك بنشره أخيرا كتاب : حرب الثلاثمائة سنة بين أسبانيا والجزائر(٥٧) وفى الأخير استكملت وجهة النظر الجزائرية إطارها بنشر عبد الرحمان الجيلالى تاريخ الجزائر العام فى جزءين(٥٨) .

ولعل الشىء المفيد فى وجهة النظر الجزائرية ، هى ما كانت تمتاز به من صفات وخصائص فهى من هذا الجانب كانت تهدف إلى تحريك الهمم وبث الشعور الوطنى فى نفوس الناشئة ، فالكتاب الجزائريون فى هذا المجال رغم أنهم استمدوا مادة بحثهم من مصادر أوربية وكتب غربية وجهدوا جهودهم

نحو الماضي بنفس القوة والارادة التي واجهوا بها الحاضر ، فالتاريخ بالنسبة لهم ما هو إلا إعادة دائمة للأحداث ، مما يجعل الاستعمار الحديث يتضمن في طياته نوايا وأهداف الاستعمار القديم(٥٩). وبالتالي يصبح التغلب على مشاكل الحاضر رهين بمعرفة أحداث الماضي وتفهم اتجاهاته، وقد عبر عن هذه الفكرة الشيخ المبارك الميلي عندما كتب في مقدمة كتابه : بأن التاريخ مرآة الغابر ومرقاة الحاضر(٦٠) . كما أن الشيخ ابن باديس ذكر في إحدى رسائله التي بعثها إلى المؤلف سنة ١٩٤٧ وذيل بها هذا الأخير كتابه(٦١) هذه العبارة :

« وقفت على الجزء الأول من كتابك «تاريخ الجزائر في القديم والحديث» فقلت لو سميته « حياة الجزائر » لكان ذلك خليقا ، فهو أول كتاب صـــور الجزائر في لغة الضاد صورة كاملة سوية » .

ومما لا شك فيه أن هذا الالتزام بالقضية الوطنية هو الذي دفع بعض الكتاب مثل دي بارمي(٦٢) . وأين الشيب(٦٣)، إلى وصف هؤلاء الجزائريين بأنهم كتاب ملتزمون ومناضلون سيتعملون بطريقة أو بأخرى علم التاريخ لمحاربة نظام سياسي يرونه ممثلا في الاستعمار الفرنسي .

لكن رغم ما يؤخذ على وجهة النظر هذه من كونها لا تتعدى حسب المفهوم التاريخي الآن مساهمة عاطفية غير متكاملة بالنسبة للفترة العثمانية ، يغلب عليها الطابع السياسي ويتحكم فيها منهج التاريخ التعليمي الهادف ، إلا أننا نرى فيها إنعكاسا صادقا وتعبيراً شجاعا لوجهة النظر الجزائرية ، لا يخلو من وزن حقيقي وقيمة علمية بشهادة من وصفها بأنها عمل سياسي ووسيلة نضال وطني(٦٤). فهي على الأقل عملية رفض لأحكام وجهة النظر الفرنسية ، تمت بلغة الجزائر القومية رغم الظروف الصعبة والعراقيل والعوائق الجمة التي واجهتها .

نحو مساهمة منهجية موضوعية :

أصبح من الضروري بعد أن تبدلت ظروف الجزائر بقيام الثورة التحريرية الكبرى والحصول على الاستقلال والعمل على استرجاع شخصية الجزائر العربية الإسلامية تجاوز المساهمة الفرنسية التي لا ترى الجزائر سوى من خلال الاحتلال الفرنسي ومشروعات الاستعمار ، وعدم الاكتفاء بالمساهمة الجزائرية التقليدية التي تلبي مفهوما يعطي صبغة مثالية للأمة الجزائرية أكثر منها واقعية ، وذلك بالاتجاه بالدراسات التاريخية نحو العمل المنهجي الموضوعي المعتمد على مفهوم التاريخ التحليلي الاستفساري الاستنتاجي (Historie Problème) والابتعاد عن المنهج الذي ظل متبعا والمتمثل بالخصوص في مفهوم التاريخ القصصي الروائي (Histoire Rècit) الذي يتجاوز في واقع الأمر تسجيل حياة الحكام وذكر الوقائع والحروب والأحداث وهذا المنحى لا يتأتى إلا عندما يكون مدار البحث الاستفساري منصبا على قضايا المجتمع وتحاشي الأحداث السياسية والتعليق عليها ، شريطة أن تحدد أهداف ومجالات يسعى لتغطيتها ومعالجتها ، هذه الأهداف التي تبعدنا عن التاريخ الكمي (Historie Qucmtitagive) وتوجهنا نحو تاريخ نوعي (Historie Sérielle) ، وذلك حسب متطلبات المنهج التاريخي الحديث الملائم لطبيعة المصادر العربية والارشيفات التركية (Les Mèthodes de P'histovigraphie Arabe) .

أما شروط العمل في هذه المساهمة المنهجية الموضوعية فهي تتطلب حسب ما نرى مايلي من النقاط :

(١) تكوين مؤرخين قادرين على استغلال الوثائق والاستفادة منها في إعادة تاريخ الجزائر العثمانية .

(٢) حصر المادة التاريخية بتقييم مختلف الارشيفات والمصادر الأساسية .

(٣) العمل على نشر الوثائق النادرة فى المجلات والنشريات العلمية، مثل ما جرى به العمل بالمغرب الأقصى بمبادرة من الأستاذ Casterie كاستري[٦٥]. ومعاونيه.

(٤) توجيه الدراسات التاريخية إلى البحث فى الميادين الحيوية من تاريخ الجزائر العثمانية المتعلقة بالنشاط الاجتماعى باعتباره منطلقا لنا فى المجالات التاريخية الأخرى.

(٥) الاستفادة من التجارب السابقة، وذلك بالتعرف على أفكار ونتائج المساهمة الفرنسية والنقيد بأهداف المساهمة الجزائرية التقليدية، وتحاشى الكتابة باللغة الأجنبية.

وبذلك يمكن إفساح المجال أمام تيار بدأت بالفعل ترتسم ملامحه فى أعمال بعض المؤرخين من الجزائريين وغيرهم، مما يسمح لنا بالقول بأنها بداية حصيلة علمية لازالت تحتاج إلى الرعاية والتكوين والتشجيع.

الحواشي

(1) Berque (J), Le Maghreb l'hier à demain, cahiers Internationaux ces sociologues, Juillet-Decembre, 1964, p. 51.

(2) Djender (M) Introduction à l'histoire de l'Algérie, Alger N.E.D. 1968 p. 65.

(3) Benachenhou (A) L'Etat Algérien en 1830, Algers, S.N. E.D. p. 27.

(4) Mouloud Geid, l'Algérie sous les tures, Tunis S.N.E.D. et M.T.E. 1974 p. 6.

(5) Mantran (R) les données de l'histoire moderne et contemporaine de l'Algérie et de la Tunisie, note pour une étude plus appprofondie Annuaire d'Aferique du nord, C.R.N.S. aix-en-Provence 1962, p. 244.

(6) Perès (H) Etudes Arabes en Algérie p. 830-1930.
— Degrammont (H.D.) Histoire d'Alger sous la domination Turque Paris, E. Peroux 1887.

(7) Marçais (W). Un Siécle de Recherches Sur le Passé de l'Afrique musulmane, in Histoire et Histonèns de l'Algérie, Paris, F. Alcan 1931. p. 161.

(8) Gzell (S) Introduction, in Histoire et Historiéns de l'Algérie, Paris F. Alcan, 1931, p. 6-7.

(٩) نذكر على سبيل المثال بعض الكتب العامة التى تعكس لنا وجهة النظر هـــذه .

— Degrammont (H.D.) Histoire d'Alger Sous la domination Turque (1515-1830) Paris, leroux, 1887.
— Roy (J.J.E.) Histoire de l'Algérie, depuis les temps les plus ancien Jusqu'à nos jours Tours, mane 1864.
— Cat (E) Petite Histoire de l'Algérie, Tunisè, Maroc, T. I. Alger 1889.

— Mercier (E) Histoire de l'Afrique septentrionale, T III, Paris 1891.

— Galibert (L) Histoire de l'Algérie ancienue et moderne, Paris 1843.

— Garrot (L) Histoire générale de l'Algérie, Alger 1910.

— Péchot (L) Histoire de l'Afrique du nord avant 1830 T III, Alger 1914.

— Hatin (E) Histoire Pihoresque de l'Algérie, Paris 1840.

— Clausolles (P) Histoire pi Horesque, 2e parties, toulouse 1843.

(10) Dan (P) Oistoire de Barbarie et de les corsaires, 2e ed, Paris 1637.

— Dan (P) les Illustres captifs, analysé par Piess et Degrammont, Alger 1884.

(11) Quesné (J.S.), Histoire de l'esclavage en Afrique de P.J. Dumont, Paris 1820.

(12) Marcais (W) op. cit., p. 139.

(13) Gzell (S) op. cit., p. 2.

(١٤) سعد الله ، أبو القاسم ، منهج الفرنسيين فى كتابة تاريخ الجزائر ، الأصالة ، العدد ١٤ — ١٥ ص ١٢ ١٩٧٣ .

(15) Le Tourneau, op. cit., p. 135-137.
— Gzell (S) op. cit., p. 2-4.

نذكر عن سبيل المثال لا الحصر بعض انتاج هؤلاء القادة والحكام :

(16) Arnaud (A) Histoire des Ouled-Naïl-Oevue Africaine, T 15-16.

Régen ce d'Alger Paris, Gosslin. 1840.

— Esterhazy (W) Notice Historique sur le maghzen d'oran, oran 1849.

(18) Robin (N) note sur l'organisation militaire at administrative des turces dans la grande Kabylie, Revue Africaine 17/1873 p. 132-140 et 196-207.

(19) Flandin (M.J.) notice sur la prise de Possession des trésors de la Régen ce d'Alger Paris, 1848.

(20) Féraud (L) notice Historique sur la tribu des Ouled-Abd-en-Nour constantine 1864 Férand — ce saprara de constantine, Alger. Jourdan, 1887.

(21) Dennée, Précis Historique e tadministrative de la campagne d'Afrique Paris 1830.

(22) Rinn (L) le Rogaume d'Alger sous le sernier Dey, Revue Africaine 41-42/1897-99.

(23) Daumas, sahara Algérien, Paris 1887.

(24) Trumelet, les Français dans le dégert, Paris 1887.

(25) le Tourncau, op. cit., p. 143.

(26) Laloë (F) à propos de l'incendie de la Bibliothèque d'Alexandrie, Par les Arabes, les manuscrits Arabes de constantine, Revue Africaine 66/1925 p. 104.

(27) Baron de Slane, Oapport adressé à M. le Ministre de L'instruction Publique. Suivé de catalogue des manuscrits Arabes les plus important de la Bibliothèque d'Alger et de la Bibliothèque de cid Hamoudi à constantine, Paris, Dupont, s.d.

(28) Laloë, op. cit., p. 106.

(29) Basset (René) les manuscrits Arabes des Bibliothèques des Zaorias de 'Aïn-madhi et Zemaien, de Ourglu et de la 'Adjadja, in Bulletin de correspondance africaine, T III, 1885 p. 211-265 et 465-492.

(30) Basset (R) les manuscrits Arabes de la Zaouiyah d'El-Hamel, giornal della société Asiatica Italiana, t X 1897 p. 43-97.

(31) Basset (R) les manuscrits Arabés du Bachagha de Djelfa, Fontana, Alger 1884.

(٣٢) نذكر من أهم هذه المخطوطات ما يلى :

بمكتبة عين ماضى : المخطوط رقم ٢ والذى يحمل عنوان الطبقة الرابعة من العرب وهم العرب المستعجم من أجل الجبال الناشىء لهذا العهـــد . والمخطوط رقم ٩ الذى عنوانه : الكتاب الثانى فى أخبار العـــرب وأحوالهم ودولهم منذ بدء الخلافة الى هـــذا العهد .

ـــ بمكتب زاوية تماسين : كتاب العدوانى ، الذى نشر ترجمته شـارل فـــيرو .

ـــ وبمكتب ورقلة : مخطوط تحت عنوان تقييد ولاية بعض ملوك أولاد علاهم بورجلان .

(33) Vatin (J.C.), l'Algérie en 1830, in Revue Algérienne des sciences Juridiques économiques et Politiques, No. 4, 1970, p. 981.

(34) Commission d'Afrique, Procès-Verbaux et Rapports de la commission d'Afrique, Intituée par Ordonance du Roi de 12-12, 1833. Paris, imp Royale, 1834.

(35) la Société d'Exploration Scientifique de l'Algérie.

(36) Tableau de la Situation des Etablissements français en Algérie.

(37) Publication de documents Algériens, Revue Africaine, T 29, 1885, p. 430.

(38) Cat (E) notes et comptes rendus, Bulletin de correspondance Africaine, Alger, T III, No. 4. 1885, p. 123.

(39) Mantran, op. cit., p. 247.

(40) Djender ,op. cit., p. 75.

(41) le tourneau op. cit., p. 143.

(42) Boyer (P) Introduction à l'histoire Intérieure de la Régence d'Alger, Revue Historique, 1966, p. 316.

(43) Bousquet (Raoul) le Fonds de la gence des concessions d'Afrique et l'Organisation de sarchives du gouvernement général de l'Algérie, in la Révolution française, Revue d'Histoire moderne et contemporaine, No. 5, 1908, p. 389.

(44) Yver, (G), Histoire et Historians, op. cit., p. 267.
— Letournean, op .cit., p. 183.

(٤٥) نذكر على سبيل المثال الجزء الخاص بالجـزائر العثمانية من كتاب الجزائر ماضيا وحاضرا ، التى يحاول فيه المؤلف أن يصل الى أحكام واستنتاجات من خلال مصادر ناقصة ومحدودة ، راجع :

Prenant, André et Autres, l'Algérie Passé et Présent, ch' : IV le cadre et les étapes de la constitution de l'Algérie Actuelle, Paris, éditions Sociales, 1960.

(٤٦) سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية ، بيروت دار الآداب ، ١٩٦٩ .

(٤٧) ابن عمار ، الرحلة الحجازية ، الجزائر ١٩٠٢ .

(٤٨) ابن مريم التلمسانى ، البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان تحقيق محمد بن أبى شنب الجزائر ١٩٠٨ .

(٤٩) الحفناوى ، أبو القاسم محمد ، تعريف الخلف برجال السلف ، ج ٢ ، الجزائر ١٩٠٦ .

(٥٠) الورتلانى (الحسين بن محمد) نزهة الأنظـار فى فضـل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورتلانية ، تحقيق ونشر محمد بن أبى شنب ، مطبعة فونتانا الجزائر سنة ١٩٠٨ .

(٥١) الغبرنى أحمد ، عنوان الدراية فيمن كان من العلمـاء فى المائة السابعة ببجاية ، تحقيق محمد بن أبى شنب الجزائر ١٩١٠ .

(٥٢) الشـيخ المبارك الميلى ، تاريخ الجزائر فى القـديم والحديث ، الجزء الأول والثانى .

(٥٣) محمد ابراهيمى الميلى ، تاريخ الجزائر فى القـديم والحديث ، الجزء الثالث ـ مكتبة النهضة الجزائرية ١٩٦٤ .

(٥٤) توفيق المدنى (أحمد) كتاب الجزائر ، المطبعة العربية بالجزائر، الجزائر ١٣٥٠ هـ ١٩٣٢ م .

(٥٥) خص المؤلف الفترة العثمانية بفصل يتضمن الصـفحات التالية ص ٣٢ ـ ٥٦ .

(٥٦) توفيق المدنى ، أحمد ، محمد عثمان باشا وخلاصة مفصلة عن العهد التركي ، الجزائر ١٩٣٨ .

(٥٧) توفيق المدنى ، أحمد ، حرب الثلاثمائة سنة بين أسبانيا والجزائر ١٤٩٢ — ١٧٩٢ الشركة الوطنية الجزائرية ١٩ .

(٥٨) الجيلالى ، الشيخ عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام ، الجزائر الأول المطبعة العربية بالجزائر ١٩٥٤ . الجزء الثانى ، المطبعة العربية بالجزائر ١٩٥٥ ، وقد تناول فى هذا الجزء الأخير الفترة العثمانية فى الجزائر .

(59) Benacheneb, Saudadine, Quelques Historiens modernes de l'Algérie, Revue Africaine 100/1956, p. 499.

(٦٠) الشيخ المبارك الميلى ، تاريخ الجزائر فى القديم والحديث ، الجزء الأول ، ص ١ .

(٦١) نفس المصدر ص ٣٦١ .

(62) Des Parmet, les Oulamas **«Oevue Afrique fransaise»** (1933).

(63) Benchencle, Saadadine ,op. cit., p. 499.

(٦٤) المصدر السابق ص ٤٩٩ .

(65) Castrie et Autres, les Sources Inédites de l'histoire du Maroc, 15, Vol. Paris, 1905-1927.